

اتسمت التغييرات التاريخية التي شهدناها في المنطقة منذ كانون الثاني بدعوات من أجل مزيد من الحرية ومستقبل أفضل للناس العاديين في أنحاء المنطقة، وبالنسبة للإسرائيليين والفلسطينيين أدت التغييرات إلى مزيد من عدم اليقين وزيادة الضغوطات فأصبح للشعب الفلسطيني توقعات أكبر لإقامة دولة فلسطينية وأصبحت إسرائيل قلقة أكثر حول ما قد يعني هذا لأمنها، لكن أفضل طريقة للتعامل مع هذه الشكوك هو الوصول إلى يقين السلام.

* وزير الخارجية البريطاني

وثيقة رقم 262 :

مقابلة مع الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي رمضان عبد الله شلح حول فشل المفاوضات وخوف السلطة الفلسطينية من الربيع العربي²⁶²

1 تشرين الأول/ أكتوبر 2011

س: كيف تنظر إلى خطوة عباس بمطالبة الأمم المتحدة بالاعتراف بالدولة؟

ج: الخطوة تعبير عن فشل التسوية واليأس من خيار المفاوضات. كان الأولى بالرئيس أبو مازن الرجوع إلى شعبه وقواه السياسية للاتفاق على استراتيجية جديدة بدل الهروب إلى خارج البيت وإثارة كل هذا الضجيج الذي يهدف إلى الهروب من استحقاق ما يسمى بـ"الربيع العربي" كي لا يصل "الربيع" إلى السلطة الفلسطينية بعد سقوط نظام (الرئيس المصري السابق) حسني مبارك، حليفها الأساسي في المنطقة.

س: السلطة تقول إن هذا أمر مخطط ومدروس ولديها برنامج إقامة مؤسسات الدولة منذ زمن وأن الظروف نضجت للحصول على الاعتراف؟

ج: للأسف هذا غير صحيح. الموجود على الأرض هو الاحتلال، لأن السلطة لا تمتلك أي سيادة على الأرض ولا حتى مساحة مهمة، هربت إلى مسألة الاعتراف. في تاريخ كل الثورات والشعوب، إن التحرير وبسط السيادة على الأرض يسبقان الاعتراف الدولي، ولا قيمة للاعتراف من دون السيطرة والسيادة على الأرض. سبق أن اعترفت الأمم المتحدة في قرار التقسيم بدولة فلسطينية على 45 في المئة من مساحة فلسطين، أين هي؟ وفي عام 1988، اعترفت بدولة فلسطينية على 22 في المئة من الأرض، أين هي هذه الدولة؟ الموجود هو الاحتلال، والشعب الفلسطيني ينام ويصحو على الاحتلال كل يوم.

س: تركيز "حماس" و"الجهاد" على هذه الخطوة، هل لأنها لم تتم بتوافق أو إجماع فلسطيني؟

ج: هذا من جانب العلاقات الفلسطينية الداخلية. لكن على الصعيد السياسي والاستراتيجي هناك مخاوف ومخاطر كبيرة تنطوي على هذه الخطوة، أهمها التنازل عن 78 في المئة من أرض فلسطين التاريخية، وتحويل الصراع في ما بعد كأنه صراع على الحدود بين دولتين وليس صراعاً على الحقوق والوجود، وكذلك تهديد مصير الفلسطينيين في الشتات وفي مناطق الـ 48 والتفريط بحق العودة، وأيضاً إلغاء القرارات السابقة للأمم المتحدة المتعلقة بفلسطين وشطب الصفة التمثيلية

لمنظمة التحرير. باختصار، هذه الخطوة تعني انتصار الرؤية الصهيونية للصراع، وحين يحصر الحق الفلسطيني في حدود عام 1967، فكأن الصراع بدأ من "نكسة" حزيران (يونيو) عام 1967 وليس من نكبة عام 1948 وما ترتب عليها من مآسي لفلسطين والأمة.

س: بالنسبة إلى المنظمة، أكد عباس في خطابه في الأمم المتحدة على التمسك بصفتها الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني وأن إعلان الدولة لن يلغي المنظمة؟

ج: ورد هذا في الخطاب، لكن لم يرد في الطلب الذي تقدم به "أبو مازن". النص الذي نشر وقرأناه ليس فيه أي ذكر للمنظمة. ثم إن المنظمة عملياً ومنذ تأسيس السلطة هُمشت وتم تفرغها في السلطة، فكيف ستكون حالها إذا تغيّرت يافطة السلطة بيافطة دولة.

س: السلطة تقول إن الاعتراف الدولي بالدولة سيعزز مكانة القضية الفلسطينية ويعزل إسرائيل، ويمكن القيادة الفلسطينية من ملاحقة الإسرائيليين في محكمة الجنايات الدولية؟

ج: هناك نحو 125 دولة تعترف بالدولة الفلسطينية في حدود عام 1967، ما قيمة هذا الاعتراف عملياً على الأرض؟ لا شيء! أما عن عزل إسرائيل فـ"أبو مازن" قالها صراحة في خطابه: "إن هذا التحرك لا يستهدف عزل إسرائيل".

أخطر من ذلك، ومن المؤلم جداً، أن نسمع مسؤولاً فلسطينياً يقول "إنه لا يهدف إلى نزع شرعية إسرائيل". وفي خطابه في رام الله قبل الذهاب للأمم المتحدة قال: "لا أحد يستطيع نزع شرعية إسرائيل". لاحظ أن الحديث هنا ليس عن الاعتراف بإسرائيل كأمر واقع ونتيجة اختلال موازين القوى، بل عن شرعية، من دون السؤال عن مصدر هذه الشرعية، هل هي الأساطير اليهودية أم الإرهاب الصهيوني؟ أم ماذا؟

أما محكمة الجنايات الدولية، فسبق لمحكمة العدل أن حكمت بلا شرعية ولا قانونية الجدار العازل وأمرت بهدمه وتعويض الفلسطينيين، ماذا كانت النتيجة؟ إسرائيل واصلت بناء الجدار ولم تكتفِ إلى شيء، هذا فضلاً عن موقف السلطة من تقرير (القاضي ريتشارد) غولدستون عن غزة. لهذا كله لا أظن أن هذه الخطوة يمكن أن تغيّر من موقف قيادة السلطة أو سلوكها طالما أنها تصر على خيار أن لا بديل من المفاوضات إلا المفاوضات.

س: في حال فشل مسعى السلطة في الحصول على عضوية كاملة لدولة فلسطينية، هل تتوقع حل السلطة أو حدوث انتفاضة جديدة؟

ج: أيّاً كانت النتيجة، إن السلطة لن تحل نفسها. سيعود "فريق أوسلو" إلى طاولة المفاوضات بغطاء من "الرباعية الدولية" والنظام العربي. إن قطار التسوية الذي استقله "أبو مازن"، محكوم عليه بالسير في اتجاه واحد. ومهما هدد بالنزول من القطار فهو لن يستطيع ذلك لأن سكة القطار مصممة لتصل إلى محطة واحدة هي إنهاء الصراع كما تريد أميركا وإسرائيل.

س: ماذا يعني لكم رفض أميركا وإسرائيل هذه الخطوة؟ يقول البعض إن موقف الفصائل المعارضة يضعها في خانة الموقف الأميركي والإسرائيلي؟

ج: أولاً، الموقفان الأميركي والإسرائيلي ينطلقان من المحافظة على القواعد التي تحكم المفاوضات والشراكة بين السلطة وإسرائيل في عملية التسوية. أما سبب موقفنا، فهو رفض التفريط في حقنا وأرضنا. نحن نقول إننا نريد دولة فلسطينية، لكن على كل فلسطين، لأن فلسطين من النهر إلى البحر كلها لنا.

ثانياً، معروف أن إقامة دولة فلسطينية في حدود 1967 بلا سيادة وبلا جيش، كما هو مطروح، هو مطلب (رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين) نتانياهو و(رئيس الوزراء السابق أرئيل) شارون من قبله. وهناك قيادات في إسرائيل رفضت موقف نتانياهو الذي يرفع السقف مع الفلسطينيين إلى هذا الحد. آفي ديختر من "كادما" ووزير أمن سابق، قال: "الدولة الفلسطينية مصلحة قومية إسرائيلية". ورئيسه في الحزب (تسيبي) ليفني قالت: "الدولة الفلسطينية في حدود 1967 ستكون الوطن القومي لجميع الفلسطينيين، بما في ذلك عرب 48". لذلك هذه الخطوة هي خطوة على طريق إحداث قطيعة بين مصير أهل الضفة (الغربية) و(قطاع) غزة وبين فلسطين الـ 48 وأيضاً فلسطيني الشتات. وهذا هو جوهر "حل الدولتين" الذي يحمي مستقبل إسرائيل في المنطقة ولا يحمي مستقبل الفلسطينيين.

س: قالت "حماس" على لسان رئيس الوزراء في غزة إسماعيل هنية تعليقاً على خطوة الرئيس عباس إنها تقبل بدولة فلسطينية على أي جزء من أرض فلسطين من دون الاعتراف بإسرائيل، بما يعني القبول بإعلان الدولة على حدود 1967، ما رأيك؟

ج: هذا الموقف نظري أو افتراضي، ولا ينطبق على مسعى "أبو مازن" في الأمم المتحدة. الطلب الذي قدمه بالمرجعات التي ينص عليها، والحديث عن دولتين تعيشان جنباً إلى جنب بسلام وأمان، يعني الاعتراف بإسرائيل، وإلا من هما الدولتان؟ نعتقد أن الحديث عن دولة في حدود 1967 هو خطاب ينتمي إلى المرحلة السابقة التي تواطأ فيها كثيرون لإرغام الفلسطينيين على القبول بهذا السقف. أعتقد أن التحولات السياسية العربية، وما يسمى بـ"الربيع العربي"، تشكل فرصة تاريخية لإعادة النظر في الإرث السياسي الذي قاد إلى الهزائم والتخلي العربي الرسمي عن برنامج تحرير فلسطين، وتبني استراتيجية جديدة تقوم على برنامج المقاومة والتحرير.

س: هل تعتقد أن الثورات العربية ستعيد العرب إلى الحرب من أجل تحرير فلسطين؟

ج: ما اعتقده أن الثورات العربية قادرة على تصحيح المسار الخاطئ الذي تحول فيه بعض العرب إلى كنز استراتيجي لعدوهم وأن تستعيد مركزية قضية فلسطين. واثق جداً أن ما يسمى بـ"الربيع العربي" يحمل الخير للأمة وفلسطين والشر لإسرائيل. نحن لسنا أشراً، وستقع إسرائيل مستقبلاً في حفرة الشر التي حفرتها في المنطقة منذ 63 عاماً وستردمها الشعوب الحرة، بإذن الله.